من قسّم الحياة وجزأها أسرته في أحد تلك الأجزاء.. إلى الأبد

بقلم بول ابي درغام
www.esoteric-lebanon.com
abidergham@yahoo.com

لماذا يقاوم الإنسان نظام الحياة؟

خفايا علوم الإيزوتيريك

يعيش إنسان اليوم أيامه في مواجهة دائمة مع الحياة. فهو يشكو من قسوتها، يتأفّف من عشوائيتها، يخشى مفاجآتها، ويعتبرها غير منصفة وغير عادلة، فيتّخذ منها موقف الحذر والترقّب والمواجهة.

هذا الخوف من اللاإستقرار في الحياة واعتبار حركتها الإيقاعية حركة عشوائية دفع بالإنسان إلى البحث عن الاستقرار والهدوء في الحياة. لكنّه انتهى إلى الركود بدل الاستقرار وإلى الجمود بدل الهدوء، وذلك كردّة فعل دفاعية ومقاومة في وجه نظام الحياة، فانتفى التجدّد من حياة المرء، واستُبدل بمقاومة لأي تغيير في الحياة وذلك بحجّة طلب الاستقرار.

شيئاً فشيئاً وجيل بعد جيل أصبحت مقاومة نظام الحياة ورفض التجدّد والتغيير أمراً من طباع الإنسان المعاصر لاوعياً منه.

التغيير في العمل

هناك دراسات عديدة تمحورت حول سلوكيّات وتصرّفات المرء عند مواجهته لعملية تغيير معينة تطال الحياة التي اعتادها وأصبحت جزءاً منه ومن يومياته. معظم الدراسات ركّزت على مقاومة التغيير في نطاق العمل في الشركات، حيث تُقابَل أي محاولة تغيير أو تجدّد في مجال العمل سواء كان إرساء قواعد إدارية جديدة أو تغيير في طرق تأدية العمل، تُقابَل بمقاومة تلقائية ومتوقّعة، عرّفتها الدراسات المختلفة بالأمر الطبيعي.

هذا جانب واحد من مقاومة الإنسان للتجدّد والتغيير. فهذه المقاومة لا تقتصر على الجانب العملي والوظيفي في حياة المرء، لا بل هذا الجانب يمثّل أحد الأوجه الظاهرة للأسباب الخافية وراء مَيل الإنسان إلى الرتابة وخوفه غير المبرّر من التغيير...

السواد الأعظم يوافق على المبدأ الذي يعتبر الحياة في تجدّد دائم والتطور سنّة الحياة، والارتقاء قاعدة النظام الأكبر...لكنّهم من جهة أخرى يتصرّفون بعكس هذا التوجّه.

مقاومة نظام الحياة

ولكن لماذا يقاوم الإنسان نظام الحياة؟ لماذا يسبح عكس التيار؟ لماذا يجعل من دعاة التجدّد أعداء له، ويقمع كل حركة غير اعتياديّة في حياته، ويخنق أي محاولة تغيير تتسلّل إلى يومياته؟ لماذا يقاوم تيار

الحياة ويقف جامداً في وجه موكب الطبيعة ومخلوقاتها؟ لماذا يسير بالاتجاه المعاكس، وفي أحسن الأحوال يقف مكانه ويُراقب ظلّه؟ من ينظر إلى النور لا يبقى أسير ظلّه لكنه يبقى على مسافة التفاتة منه من دون أن ينسى وجوده. فظلّه يمثّل ماضيه وخبراته والعبرة منها. من يسير باتجاه النور يقتدي بخبرة من سبقه على الدرب. فمن يسلك درب النور واعياً لا بدّ أن يترك معالم على هذه الدرب.

الحرية المقدسة

قدّس الخالق حرية الإنسان. لكن، لماذا يستخدم الإنسان أقدس ما عنده في معاكسة قدره؟ (وبحسب تعريف علوم الايزوتيريك، القدر هو العودة الواعية إلى الخالق بينما المصير هو ما صار إليه الإنسان نتيجة أعماله).

الإنسان أسير العادات والتقاليد. إنه عبد لجهله، وخاضع لأهوائه ومستسهلاً لحياته، فاقداً بوصلته وعاجزاً عن فهم دوره في الحياة، مستصغراً مكانته، وكافراً بقدسيته، تائهاً عن فهم المحبة، بعيداً عن جبروت الإرادة، متنازلاً عن فكره لمشاعره، غائصاً في غياهب المادة، ومستسلماً لعجزه الكلّي عن أي تغيير.

لا قسوة على الإنسان في ما تقدّم، فهذا هو واقع الحال. وما حالة المخاض التي تعيشها البشرية في هذه الحقبة من الزمن سوى نتيجة للجمود المتحكّم في التطور، لا بل نتيجة للتقهقر الناتج عن مقاومة الإنسان لمسار الحياة وقدر الوجود.

على الإنسان هدم الجدران التي شيّدتها المفاهيم المغلوطة والتقاليد البالية ونبذ الانغلاق والتعصّب والجهل المطبق

الإنسان أسير العادات والتقاليد. عبد لجهله خاضع لأهوائه ومستسهلاً لحياته فاقداً بوصلته وعاجزاً عن فهم دوره في الحياة

تُقابَل أي محاولة تغيير أو تجدّد في مجال العمل بمقاومة تلقائية ومتوقعة

ولكن لماذا؟

علوم الايزوتيريك، علوم النواحي الخفية في الإنسان والوجود تعزو السبب بكل بساطة إلى حالة الوهم المسيطرة على وجود الإنسان الذي يعيش على الأرض. حالة الوهم هذه تتمثّل بضيق أفق الإنسان ومحدودية نظرته وانسداد أفق تطلّعاته، وأسر فكره في "أجزاء الحياة". أجل غياب مفهوم الوحدة في الوجود عن مدارك الإنسان جعل منه أسير أجزاء هذه الوحدة. فاعتبر عالم المادة محيط تواجده الوحيد، واعتقد أن طاقة الحياة التي تسري في عروقه مختلفة عن طاقة الطبيعة ومكوّناتها، وحدّ الكيان الإنساني بالجسد المادي، وتجاهل دور المكوّنات اللامنظورة أو الأجسام الباطنية في صحة الإنسان الجسدية والنفسية، وتجاهل كون شعاع الروح فيه امتداد ونفحة من الروح المقدسة الكلية، وجزءَ الزمن في أبعاد ثلاثة متناسياً وحدته، حتى وصل به المطاف إلى

أصبحت مقاومة نظام الحياة ورفض التجدّد والتغيير أمراً من طباع الإنسان المعاصر لاوعياً منه

السواد الأعظم يوافق على المبدأ الذي يعتبر الحياة في تجدّد دائم والتطور سنّة الحياة لكنّهم يتصرّفون بعكس هذا التوجّه

لا تدعو صغائر الأمور تحجب رؤيتكم عن كبائرها.. ولا تدعو ما بين أيديكم يلهيكم عمّا ينتظركم

التمييز بين إنسان وآخر والحكم عليه من منطلق عرقي أو عقائدي.

لا تركز على الجزء

حال الإنسان هذه كمن يسير في بيداء واسعة شاسعة إنما يركّز نظره على موطئ قدمه من دون أن يرفع نظره ولو لبرهة نحو الأفق بحثاً عن واحة أو تحديداً لوجهة المسير أو تقويماً للمسار المتّبع. فبذلك هو تائه حتماً.

ولعل ما جاء في كتاب الايزوتيريك "مناجاة القلب والوعي" بقلم ج ب م، يعبّر خير تعبير عما تقدّم: "لا تدعو صغائر الأمور تحجب رؤيتكم عن كبائرها... ولا تدعو ما بين أيديكم يلهيكم عمّا ينتظركم.

من قسّم الحياة وجزأها، أسرته الحياة في أحد تلك الأجزاء، إلى الأبد! والإنسان ما لم يحتوِ الحياة وحدة، لا يستطيع فهم الوحدة، أو التعامل معها!".

النظرة الكلية الشاملة

على الإنسان اكتساب الشمولية في النظرة إلى الأمور كافة، ولاسيما الأمور الوجودية. عليه هدم الجدران التي شيّدتها المفاهيم المغلوطة والتقاليد البالية، وعليه نبذ الانغلاق والتعصّب والجهل المطبق الذي فرضته الطقوس الفارغة من أي مضمون، والعقائد التي تكرّس التقوقع والمحدودية.

وتوضّح علوم الايزوتيريك أنه ما لم يتوصّل الإنسان إلى فهم القول الحكيم: "إذا قطفت زهرة اهتزّت نجمة"، وما لم يستطع المرء إدراك حقيقة أن خصائص المحيط موجودة في كل قطرة منه، وما لم يستطع المرء فهم التعددية في الوحدة، وما لم يدرك أن المعرفة - الحقيقة مودعة في أعماق وعيه الباطني، والحياة بمحيطها الأرضي حليفته في التوصّل إليها، لن يستطع السير من تلقاء نفسه مع الحياة.

نادرون الذين يقتفون أثر النور ويسيرون باتجاهه، كثر من يسيرون حين تدفئهم أشعة الشمس، أما الباقون فلن يبارحوا أماكنهم إن لم تطلهم ألسنة اللهيب.